الفصل الأول

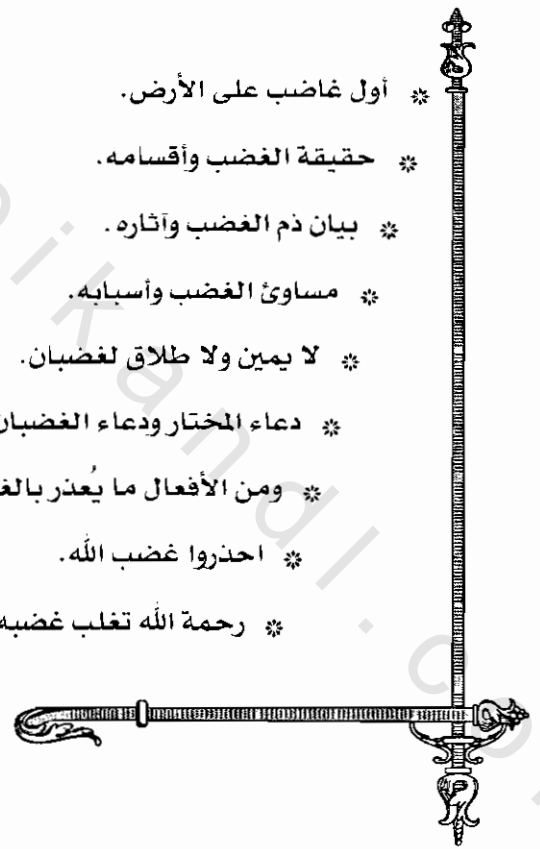

* أول غاضب على الأرض.
* حقيقة الغضب وأقسامه.
* بيان ذم الغضب وآثاره.
* مساوئ الغضب وأسبابه.
* لا يمين ولا طلاق لغضبان.
* دعاء المختار ودعاء الغضبان.
* ومن الأفعال ما يُعذر بالغضب.
* احذروا غضب الله.
* رحمة الله تغلب غضبه.

obeikandl.com

obeikandl.com

قابيل الغاضب

أول من سن القتل على الأرض

قال الله تعالى: ﴿ واتْلُ عليهِمْ نَبأ ابْنَيْ آدم بالْحقّ إذْ قرّبا قُرْبانًا فتُقُبّلَ منْ أحدهما ولمْ يُتقبّلْ من الآخرِ قال لأقْتُلنّك قال إنّما يتقبّلُ اللّهُ من الْمتّقين (٢٧) لئن بسطت إليّ يدك لتقْتُلني ما أنا بباسطٍ يدي إليْك لأقْتُلك إني أخافُ اللّه ربّ العالمين (٢٨) إني أريدُ أن تبُوء بإثْمي وإثْمك فتكُون منْ أصْحاب النّار وذلك جزاءُ الظّالمين (٢٩) فطوّعتْ لهُ نفْسُهُ قتْل أخيه فقتلهُ فأصْبح من الْخاسرين ﴾ (المائدة: ٢٧- ٣٠).

من فوهة بركان الغضب انطلقت أول جريمة قتل، ليسيل أول دم بشري على الأرض.

ذكر السدي عن أبي مالك وأبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من الصحابة: أن آدم كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، وأن هابيل أراد أن يتزوج بأخت قابيل (وكان أكبر من هابيل)، وأخت قابيل أحسن، فأراد قابيل أن يستأثر بها

على أخيه، وأمره آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى، فأمرهما أن يقربا قربانًا، وذهب آدم ليحج إلى مكة.

فلما ذهب قربا قربانهما، فقرب هابيل جذعة[1] سمينة، وكان صاحب غنم، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرعه، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين.

ورُوي عن ابن عباس من وجوه أُخر، وعن عبد الله بن عمرو، وقال عبد الله بن عمرو: وايم الله إن كان المقتول لأشد الرجلين، ولكن منعه التحرج أن يبسط إليه يده.

وذكر أبو جعفر الباقر أن آدم عليه السلام كان مباشرًا لتقريبهما القربان والتقبل من هابيل دون قابيل، فقال قابيل لأبيه وهو غضبان: إنما تُقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي، وتوعد أخاه فيما بينه وبينه.

---

(١) جذعة: شاة.

فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي، فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما بطأ به، فلما ذهب إذ هو به، فقال في غيظ: تُقُبِلَ منك، ولم يُتَقبل مني!!، فقال: إنما يتقبل الله من المتقين، زاد غضب قابيل، وجاء الشيطان يصيح به: اقتله واسترح، فنظر حوله فوجد صخرة (وقيل: حديدة) فحملها وذهب إلى أخيه كالمجنون وحذفه بها، فسقط هابيل مقتولاً، وجرى أول دم على الأرض، وقوله لما توعده بالقتل: ﴿لَئِن بسطت إليَّ يدك لِتَقْتُلَنِي مَا أنا بِباسطٍ يديَ إليْكَ لأقْتُلَكَ إنِّي أخافُ اللَّهَ ربَّ الْعالمين﴾ (المائدة: ٢٨)، دل على خلق حسن، وخوف من الله تعالى وخشية منه، وتورع أن يقابل أخاه بالسوء الذي أراد منه أخوه مثله.

حقيقة الغضب

اعلم أن: ما يصيب الإنسان من غضب: هو جمرة من الشيطان يلقيها في قلب ابن آدم، وعند الغضب ينزع فيه عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال: ﴿خَلَقْتني من نَّارٍ وخلقْتَهُ

من طين ﴾ (الأعراف: ١٢)، وسبق ذلك قوله ـ لعنه الله ـ: ﴿ أنا خيرٌ منهُ ﴾ (الأعراف: ١٢)، وقوله هذا من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة، لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني ـ لعنه الله ـ: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟، ثم بيَّن أنه خير منه بأنه خلقه من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله خلق آدم بيديه، ونفخ فيه من روحه، كما أن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاشتعال، والحركة والاضطراب.

ولهذا قاس اللعين قياسًا فاسدًا في مقابلة نص: ﴿ فقعُوا لهُ ساجدين ﴾ (الحجر: ٢٩)، فشذَّ من بين الملائكة لترك السجود، بل وتوعد ذرية آدم، بقوله ـ عليه لعنة الله ـ: ﴿ قال فبما أغويتني لأقعدنَّ لهُمْ صراطكَ المُستقيم ﴾ (الأعراف: ١٦)، أي: كما أغويتني، أو كما أضللتني، أو أهلكتني لأقعدن

لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: طريق الحق، وسبيل النجاة، ولأضلنهم عنها لئلا يعبدوك، ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي، ثم قال ـ عليه لعنة الله ـ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٧).

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾، أي: أشككهم في آخرتهم، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، أي: أرغبهم في دنياهم، ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾، أي: أشبه عليهم أمر دينهم، ﴿وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾، أشهي لهم المعاصي، قال ابن عباس: لم يقل: من فوقهم، لأن الرحمة تنزل من فوقهم، ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾، أي: موحدين، وقول إبليس: هذا إنما هو ظن منه وتوهم، وقد وافق في هذا الواقع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُو مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ (سبأ: ٢٠-٢١).

ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها، فقد روى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي، وأهلي ومالي، اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي، واحفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي**».

ورُوي أن إبليس ـ لعنه الله ـ بدا لموسى عليه السلام، فقال: يا موسى، إياك والحِدَّة؛ فإني ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة، وإياك والنساء، فإني لم أنصب فخًا قط أثبت في نفسي من فخ أنصبه بامرأة، وإياك والشح، فإني أفسد على الشحيح الدنيا والآخرة.

وكان يُقال: اتقوا الغضب، فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل، والغضب عدو العقل.

وحقيقة الغضب:

غليان دم القلب لطلب الانتقام، ففي الجسم غدد تسمى (الأدرنالية)، عندما يغضب ابن آدم تفرز مادة (الأدرنالين) في الدم فيسبب ذلك ارتفاعًا في ضغط الدم، فيضغط الدم على القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن، كما يرتفع الماء الذي يغلي في القدور، ولذلك يحمر الوجه و العين والبشرة، وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها.

وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه، فإذا كان الغضب صدر ممن فوقه، وكان معه يأس من الانتقام، تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فصار حزنًا ولذلك يصفر اللون، وإذا كان الغضب على نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب.

والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال، فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج الدين والعقل عن سياستها، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار، والتفريط في هذه القوة أيضًا مذموم، لأنه يبقى لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكلية عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتم بتسليط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطريقين.

الغضب غول العقل

الغضب مرض من الأمراض وداء من الأدواء، فهو في أمراض القلوب، نظير الحمى، والوسواس، والصرع في أمراض الأبدان، فالغضبان المغلوب في غضبه كالمريض والمحموم، والمصروع المغلوب في مرضه، والمبرسم المغلوب

في برسامه، وهذا القياس صحيح في الغضبان الذي قد اشتد به الغضب حتى لا يعلم ما يقول.

والغضب عدو العقل، وهو له كالذئب للشاة، قلما يتمكن منه إلا اغتال عقله، وعليه فالعاقل لا يستدعي الغضب ولا يريده، بل هو أكره شيء إليه، وهو كما قال النبي ﷺ: «جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم من احمرار عينيه، وانتفاخ أوداجه»[1].

وللغضب أقسام ثلاثة:

الأول - أن يحصل للإنسان مبادئه وأوائله بحيث لا يتغير عليه عقله ولا ذهنه، ويعلم ما يقول ويقصده، ويمكن لصاحبه أن يملك نفسه عنده، فإذا استحكم وتمكن منه لم يملك نفسه عند ذلك، وكذلك الحزن الحامل على الجزع، يمكن لصاحبه أن يملك نفسه في أوله، فإذا استحكم وقهر

(١) رواه الإمام أحمد والترمذي.

لم يملك نفسه، وكذلك الغضب يمكن الصاحبه أن يملك نفسه في أوله، فإذا تمكن واستولى سلطانه على القلب لم يملك صاحبه قلبه، فهو اختياري في أوله اضطراري في نهايته.

الثاني ـ أن يبلغ به الغضب نهايته بحيث ينغلق عليه باب العلم والإرادة فلا يعلم ما يقول وما يريده، وهنا يكون الغضب قد استحكم حتى اغتال عقله حتى لم يعلم ما يقول، فلاريب أنه لا ينفذ شيء من أقواله في هذه الحالة، فإن أقوال المكلف إنما تنفذ مع علم القائل بصدورها منه، ومعناها وإرادته للتكلم بها، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «**لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان**».

الثالث. من توسط في الغضب بين المرتبتين فتعدى مبادئه ولم ينته إلى آخره بحيث صار كالمجنون، ولكي لا يحجز عليه لأن حالته هذه لا تدوم، ولاريب أنه قد يحصل

للغضبان إغماء وغشي، وهو في هذه الحالة غير مكلف قطعًا كما يحصل ذلك للمريض فيزيل تكليفه حال الإغماء.

بيان ذم الغضب وأثره

قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الفتح: ٢٦).

ذم ـ سبحانه وتعالى ـ الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل، وذلك حين أبوا أن يكتبوا «بسم الله الرحمن الرحيم»، وأبوا أن يكتبوا: «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، ومدح المؤمنين بما أنزل عليهم من السكينة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تعدون الرقوب**[1] **فيكم؟**»، قال:

---

(١) **الرقوب**: أصله في كلام العرب الذي لا يعيش له ولد، ومعنى الحديث: أي تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده وهو ليس كذلك شرعًا، بل هو من لم يمت أحد من أولاده في حياته، فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه، ويكون له فرطًا وسلفًا.

قلنا: الذي لا يولد له، قال: «ليس ذاك بالرقوب، ولكنه الرجل الذي لم يقدِّم من ولده شيئاً»، قال: «فما تعدون الصُّرعة فيكم؟»، قال: قلنا: الذي لا يصرعه الرجال، قال: «ليس بذلك، ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب».

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[1]، وفيه دلالة لقوة دينية معنوية إلهية باقية، فحول النبي ﷺ معنى هذا الاسم من القوة الظاهرة إلى الباطنة، ومن أمر الدنيا إلى أمر الدين، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه.

وعن جعفر الصادق: الغضب مفتاح كل شر. وقال بعض الأنصار: رأس الحمق الحِدَّة، وقائده الغضب، ومن رضي بالجهل استغنى عن الحلم، والحلم زين

(١) رواه الإمام أحمد، والشيخان.

ومنفعة، والجهل شين ومضرة، والسكوت عن جواب الأحمق جوابه.

وقال الحسن: من علامات المسلم قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وعلم في حلم، وكيس في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وإحسان في رفاقة، وصبر في شدة، لا يغلبه الغضب، ولا تجمح به الحمية، ولا تغلبه شهوة، ولا تفضحه بطنه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم، ويرحم الضعيف، ولا يبخل ولا يبذر، ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظُلم، ويعفو عن الجاهل، نفسه منه في عناء، والناس منه في رخاء.

أما عن تأثير الغضب على المرء فنجد أن له آثارًا ظاهرة على الجسد كله، وآثارًا على اللسان وعلى الأعضاء، كما له أثر في القلب.

فمن آثار الغضب في الظاهر:

تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام، حتى يظهر الزبد على الأشداق، وتحمر الأحداق، وتنقلب المناخر، وتستحيل الخلقة لقبح صورته.

وقبح باطنه أعظم من قبح ظاهره، فإن الظاهر عنوان الباطن، وإنما قبحت صورة الباطن أولاً، ثم انتشر قبحها إلى الظاهر ثانيًا، فتغير الظاهر ثمرة تغير الباطن، فقس المثمر بالثمرة، فهذا أثره على الجسد.

وأما أثره في اللسان:

فانطلاقه بالشتم، والفحش من الكلام الذي يستحي منه ذو العقل، ويستحي منه قائله عند فتور الغضب، وذلك مع تخبط النظم واضطراب اللفظ، قال ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[1].

---

(١) رواه أبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي عن ابن مسعود.

وأما أثره على الأعضاء:

فالضرب، والتهجم، والتمزيق، والقتل، والجرح عند التمكن، وقد يمزق ثوب نفسه، ويلطم نفسه، والحديث يقول: «**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب**»، وقد يضرب بيده على الأرض، وربما يعتريه مثل الغشية، وربما يضرب الجمادات والحيوانات، أو يكسر القطعة أو يشتم البهيمة، أو ترفسه دابة فيرفسها، ويقابلها بذلك كالمجنون.

وأما أثره في القلب:

فالحقد والحسد وإضمار السوء، والشماتة بالمساءات، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر، وهتك الستر، والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح.

ومما لا شك فيه أن للغضب أضراراً على الدين والأخلاق، ولا يخفى امتداد هذه الأضرار إلى الجسم والعقل، وتأثير كل ذلك على القلب، ومما سبق ندرك حكمة الرسول ﷺ في وصيته العظيمة في الحديث الصحيح: «**لا تغضب**».

مساوئ الغضب وأسبابه

اعلم أنه: متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه، وتَسْوَدّ الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوُّه، وحمى مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما زاد الغضب فقتل صاحبه.

فاندفاع الدم إلى المخ قد يحدث انفجاراً في شرايين المخ، وقد يكون في ذلك جلطة، وقد يكون في ذلك شلل والعياذ بالله، وقد يدفع الغضب بابن آدم إلى أن يُغضِب ربه ـ جَلَّ جَلالهُ ـ، فيقسم بالطلاق، والحديث يقول:

«تزوجوا ولا تطلقوا: فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن»

وقلنا أن من آثار الغضب في الظاهر: تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطي فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته في حالة غضبه وقبحها لأنف لنفسه من تلك الحال، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم.

ومن المعروف أن علاج كل علة بجسم مادتها وإزالة أسبابها، والغضب إذا لم يتم كظمه، لعجز عن التشفي في الحال، ورجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقدًا، ومعنى الحقد أن يلزم قلبه استثقاله، والبغضة له والنفار عنه، وأن يدوم ذلك ويبقى، والحقد ثمرة الغضب، وهو يثمر أمورًا منكرة:

الأول ـ الحسد: وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه، فتغتم بنعمة إن أصابها، وتسر بمصيبة إن نزلت به.

الثاني ـ أن يزيد على إضمار الحسد في الباطن، فيشمت بما أصابه من البلاء.

الثالث ـ أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه، وإن طلبك وأقبل عليك.

الرابع ـ وهو دونه أن تُعْرِضَ عنه استصغاراً له.

الخامس ـ أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب، وغيبة، وإفشاء سر، وهتك ستر وعورة.

السادس ـ أن تحاكيه استهزاءً به وسخرية منه.

السابع ـ ايذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه.

الثامن ـ تمنعه حقه من قضاء دين، أو صلة رحم، أو رد مظلمة . . وكل ذلك حرام.

وأقل درجات الحقد لو احترز عن هذه الآفات الثمانية، أن يترك البشاشة أو الرفق، والعناية والقيام بحاجاته، أو المعاونة على المنفعة له، وكله وليد الغضب، وكله مما ينقص الدرجة في الدين، ويفوت الثواب الجزيل، ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح، وكان قريبه لأمر ما، نزل قوله تعالى: ﴿ولا يأتلِ أُولُوا الفَضْلِ منكُمْ والسَّعة أن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبىٰ والْمَساكِين والْمُهاجِرِين في سَبِيلِ اللَّه

وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (النور: ٢٢)، فقال أبو بكر: «بلى، نحب ذلك»، وعاد إلى الإنفاق عليه[١].

والأولى أن يبقى على ما كان عليه، فإن أمكنه أن يزيد في الإحسان مجاهدًا للنفس، وإرغامًا للشيطان، فذلك مقام الصديقين، وهو من فضائل أعمال المقربين.

رجل من أهل النار

كان مزهوًا بنفسه، معجبًا بقوته، مغترًا بسيفه، مسه الكبرياء في إحدى المغازي، ولم يحتمل جرحًا، فمسته نار الغضب حتى علا بركانه فقتل نفسه، فخسر بذلك دنياه وآخرته.

ففي صحيح البخاري عن سهل قال: التقى النبي ﷺ والمشركون في بعض مغازيه فاقتتلوا، فمال كل قوم إلى عسكرهم، وفي المسلمين رجل لا يدع من المشركين

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

شاذة ولا فاذة إلا اتبعها فضربها بسيفه، فقيل: يا رسول الله ما أجزأ أحدهم ما أجزأ فلان! فقال: «إنه من أهل النار»، فقالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟! فقال رجل من القوم: لأتبعنه، فإذا أسرع وأبطأ كنت معه حتى جُرِح، فاستعجل الموت، فوضع نصاب سيفه بالأرض، وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال: «وما ذاك؟»، فأخبره، فقال: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، وإنه من أهل النار، ويعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنة»[1].

وكثيراً ما نسمع عن أناس ـ خاصة الفتيات ـ ينهون حياتهم بالانتحار، نتيجة لفشل يصيبهم في حياتهم، فيخسرون كل شيء، وهو من نواتج الجهل المترتب عليه فساد في العقيدة.

---

(١) رواه البخاري.

ومن مساوئ الغضب أيضًا أنه قد يذهب بحياة صاحبه، فمن الناس من إذا لم ينفذ غضبه قتله غضبه ومات، أو مرض أو غشي عليه، كما يذكر عن بعض العرب أن رجلاً سبه، فأراد أن يرد على السَّابِّ فأمسك جليس له بيده على فمه ثم رفع يده لما ظن أن غضبه قد سكن، فقال: قتلتني، رددت غضبي في جوفي، ومات من ساعة.

مما سبق نجد أن مساوئ الغضب تزداد حدة ـ وربما تصل إلى الهلاك ـ كلما استحكم الغضب على العقل، ليحل محله في الأمر والنهي، وقد ينكر كثير من الناس أن الغضب يزيل العقل ويبلغ بصاحبه إلى هذه الحالة، وهذا خطأ لأن الناس متفاوتون في الغضب تفاوتًا عظيمًا، فمنه ما هو كالنشوة، ومنه ما هو كالسكر، ومنه ما هو كالجنون، ومنه ما هو سريع الحصول سريع الزوال، وعكسه ـ أي بطيء الحصول بطيء الزوال ـ، ومنه سريع الحصول

بطيء الزوال، وعكسه، كما قسمه النبي ﷺ إلى هذه الأقسام، وقوى الناس متفاوتة تفاوتًا عظيمًا في ملك تقواهم عند الغضب، والطمع، والحزن، والخوف، والشهوة، فمنهم من يملك ذلك ويتصرف فيه، ومنهم من يملكه ذلك ويتصرف فيه، حتى لا ترجعه نصيحة، بل وتتملكه العزة بالإثم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة:٢٠٦)، أي: إذا وعظ في مقاله وفعاله، وقيل له: اتق الله وانزع عن قولك وفعلك، وارجع إلى الحق، امتنع وأبى، وأخذته الحمية والغضب بالإثم أي: بسبب ما اشتمل عليه من الآثام، وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «كفى بالمرء إثمًا إذا قيل له: اتق الله، غضب»[1].

---

(١) رواه الطبراني.

الأسباب المهيجة للغضب

وأما عن الأسباب المهيجة للغضب فمنها: العجب، والمزاح، والهزال، والمضادة، والزهو، والتعيير، والهزء، والغدر، وشدة الحرص على الحصول على المال والجاه، وهذه أخلاق رديئة مذمومة شرعًا، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه.

فينبغي أن تميت الزهو بالتواضع، وتميت العجب بمعرفتك بنفسك، وتزيل الفخر بأنك من جنس البشر، إذ الناس يجمعهم في الانتساب أب واحد، وإنما الفخر بالفضائل، والفخر والعجب أكبر الرذائل.

وأما المزاح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه، وأما الهزال فتزيله بالجِدِّ في طلب الفضائل، والأخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك إلى سعادة الآخرة، وفي هذا يقول ﷺ: «والذي

نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً، ولضحكتم قليلاً»[1].

وأما الهزء فتزيله بالتكرم عن إيذاء الناس، وبصيانة النفس عن مُر الجواب، وأما شدة الحرص، فبالصبر على مُر العيش بالقناعة، بقدر الضرورة، طلبًا لعز الاستغناء، وترفعًا عن ذل الحاجة.

وكل خلق من هذه الأخلاق، وصفة من هذه الصفات، يفتقر في علاجه إلى رياضة وتحمل مشقة، وحاصل رياضتها الرجوع إلى معرفة غوائلها، لترغب النفس عنها، وتنفر عن قبحها، ثم المواظبة على مباشرة أضدادها مدة مديدة، حتى تصير بالعادة هينة مألوفة على النفس، فإذا انمحت عن النفس، فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل، وتخلصت أيضًا من الغضب الذي يتولد منها.

---

(١) رواه البخاري.

وأشد البواعث للغضب عند أكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة، وعزة نفس، حتى تميل النفس إليه، وتستحسنه، وهذا من الجهل بل هو من مرض القلب، ونقصان عقل وضعف نفس، ودليل ذلك أن المريض أسرع غضبًا من الصحيح، والشيخ الضعيف أسرع غضبًا من الكهل، وذو الخلق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل، فالرذل يغضب لشهوته، أما القوي من يملك نفسه عند الغضب، كما قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصُّرعة، بل الشديد من يملك نفسه عند الغضب»[1].

وينبغي أن يعالج هذا الجاهل بأن تتلى عليه حكايات أهل الحلم والعفو، وما استحسن منهم من كظم الغيظ، فإن ذلك منقول عن الأنبياء والأولياء والحكماء، والعلماء والخلفاء والفضلاء، وضد ذلك منقول عن الجهلة والأغبياء الذين لا عقول لهم ولا فضل فيهم.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

لا يمين في غضب

يقول تعالى: ﴿لا يُؤاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمانِكُمْ وَلَكِن يُؤاخِذُكُم بِما كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٥)، أي: لا يعاقبكم ولا يلزمكم بما صدر منكم من الأيمان اللاغية، وهي التي لا يقصدها الحالف، بل تجري على لسانه عادةً من غير تعقيد ولا تأكيد.

قال ابن جرير في تفسيره: حدثنا ابن وكيع حدثنا مالك بن إسماعيل عن خالد عن عطاء بن رستم عن ابن عباس قال: لغو اليمين أن تحلف وأنت غضبان، أي: أن اللغو من الأيمان التي يحلف بها صاحبها في حال الغضب على غير عقد القلب ولا عزم، يقول ابن جرير: وعلة من قال هذه المقالة ما حدثني به أحمد بن منصور المروزي عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يمين في غضب»[1]، وقال الشافعي: لغو اليمين ما لم يعقده وإنما

(١) رواه الدارقطني.

يتصور ذلك عنده في قوله: «لا والله»، و«بلى والله»، عند المحاورة والغضب واللجاج من غير قصد، سواء كانت على ماض أو مستقبل، وهي رواية عن أحمد.

ولا كفارة في يمين غضب

عن عطاء عن طاووس قال: كل يمين حلف عليها رجل وهو غضبان فلا كفارة عليه فيها؛ لقوله: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، وهذا أحد الأقوال في مذهب مالك أن لغو اليمين هو اليمين في الغضب، وهذا اختيار أَجَلِّ المالكية وأفضلهم على الإطلاق وهو القاضي إسماعيل بن إسحق، فإنه ذهب إلى أن الغضبان لا تنعقد يمينه.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد رفع المؤاخذة بلفظ جرى على اللسان لم يكسبه القلب، ولا يقصده، فلا تجوز المؤاخذة بما رفع الله المؤاخذة به، بل قد يقال: لغو الغضبان أظهر من لغو المبرسم[1] والمجنون.

---

(١) البرسام: داء معروف، وفي بعض كتب الطب أنه ورم حاز يعرض للحجاب الذي بين الكبد والأمعاء، ثم يتصل بالدماغ.

وعن علي وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن الأيمان المنعقدة كلها في حال الغضب لا تلزم.

لا طلاق لغضبان

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «لا طَلاق ولا عِتَاقَ[1] في إغْلاق»[2]، قال أبو داود: «في غلاق» (بغير ألف في أوله)، ثم قال: والغلاق أظنه الغضب، وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ يقول: هو الغضب، قال أبو بكر: سألت أبا محمد وابن دريد وأبا عبد الله وأبا طاهر النحويين عن قوله: «لا طلاق ولا عتاق في إغلاق»، قالوا: يريد الإكراه، لأنه إذا أكره انغلق عليه رأيه، ويدخل في هذا المعنى المبرسم والمجنون، فقلت لبعضهم: والغضب أيضًا فقال: ويدخل فيه الغضب

---

(١) إخراج العبد عن الرق.

(٢) رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم في صحيحه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

لأن الإغلاق وجهان، أحدهما الإكراه والآخر ما دخل عليه ما ينغلق به رأيه عليه.

وقد فسر الشافعي: «لا طلاق في إغلاق» بالغضب، وفسره به مسروق، وهو قول القاضي إسماعيل ابن إسحاق أحد أئمة المالكية، فهذا مسروق والشافعي وأحمد وأبو داود والقاضي إسماعيل كلهم فسروا الإغلاق بالغضب، وهو من أحسن التفسير لأن الغضبان قد أغلق عليه باب القصد بشدة غضبه[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله﴾[2] (الأعراف: ٢٠٠)، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما نزلت ﴿خذ العفو وأمر بالعرف..﴾ (الأعراف: ١٩٩)، قال ﷺ: «يارب كيف بالغضب؟»، فأنزل الله: ﴿وإما ينزغنك

(١) «إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» ابن قيم الجوزية.
(٢) ذكرت في ثلاثة مواضع من القرآن منها في (سورة الأعراف) آية ٢٠٠.

مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ..﴾، وأصل النزغ الفساد، إما بالغضب أو غيره، وما يتكلم به الغضبان في حال شدة غضبه من طلاق أو شتم ونحوه هو من نزغات الشيطان، فإنه يلجئه إلى أن يقول ما لم يكن مختارًا لقوله، فإذا سُرِيَ عنه علم أن ذلك من إلقاء الشيطان على لسانه مما لم يكن برضاه واختياره، وإذا كان هذا السبب وأثره من إلجاء الشيطان لم يكن من اختيار العبد فلا يترتب عليه حكم، لأن الغضبان الذي يمنعه الغضب من معرفة ما يقول وقصده فهذا من أعظم الإغلاق وهو في هذا الحال بمنزلة المبرسم، والمجنون، والسكران، بل أسوأ حالاً من السكران، لأن السكران لا يقتل نفسه، ولا يلقي ولده من علو، والغضبان يفعل ذلك.

دعاء المختار ودعاء الغضبان

يقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ (يونس:١١)، يخبر تعالى عن حلمه ولطفه بعباده أنه لا يستجيب لهم إذا دعوا على أنفسهم

أو أموالهم أو أولادهم بالشر في حال حِنقِهم وغضبهم، وأنه يعلم منهم عدم القصد إلى إرادة ذلك، فلهذا لا يستجيب لهم.

والحالة هذه لطفًا ورحمةً كما يستجيب لهم إذا دعوا لأنفسهم أو لأموالهم، أو لأولادهم بالخير والبركة والنماء، ولهذا قال: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾، أي: لو استجاب لهم حكمًا دعوه به في ذلك لأهلكهم، ولكن لا ينبغي الإكثار من ذلك، فقد روي عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تدعوا على أولادكم، ولا على أموالكم، ولا تدعوا على خدمكم، لئلا توافقوا من الله ساعة لا يسأل فيها شيئًا إلا أعطاه»[1].

(١) رواه مسلم، وأبو داود.

وفي تفسير ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو قول الإنسان لولده، وماله إذا غضب عليهم: اللهم لا تبارك فيه والعنه، فلو يعجل لهم الاستجابة في ذلك كما يستجاب في الخير لأهلكهم، ولا تنافي بين الآية والحديث؛ فإن الآية اقتضت الفرق بين دعاء المختار ودعاء الغضبان الذي لا يختار ما دعا به، والحديث دل على أن لله ـ سبحانه وتعالى ـ أوقاتًا لا يرد فيها داعيًا، ولا يُسأل فيها شيئًا إلا أعطاه، فنهى الأمة أن يدعو أحدهم على نفسه، أو أهله أو ماله خشية أن يوافق تلك الساعة فيُجاب له.

والإنسان يدعو على غيره ظلمًا وعدوانًا، ومع ذلك فقد يُستجاب له، ولكن إجابة دعاء الخير من صفة الرحمة، وإجابة ضده من صفة الغضب، والرحمة تغلب الغضب، والمقصود أن الغضب مؤثر في عدم انعقاد السبب في الجملة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿ويدعُ الإنسانُ بالشرِ دُعاءهُ

بالْخَيْرِ وكان الإنسانُ عجُولاً ﴿الإسراء:١١﴾، وهو الرجل يدعو على نفسه وأهله في حال الغضب بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، ولكن اقتضت رحمة العزيز العليم أن لا يؤاخذه بذلك ولا يجيب دعاءه لأنه عن غير قصد منه، بل الحامل عليه الغضب الذي هو من الشيطان.

obeikandl.com

غضب النبي ﷺ

وفيه ما يبين أن الغضبان قد يتكلم في الغضب بما لا يريده، فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما أنا بشر وإني اشترطت على ربي ـ عزَّ وجلَّ ـ أيُّ عبد من المسلمين شتمته أو سببته أن يكون ذلك زكاة وأجراً».

وفي مسند الإمام أحمد من حديث مسروق عن عائشة قالت: دخل على النبي ﷺ رجلان فأغلظ لهما وسبهما، قالت: فقلت: يارسول الله لمن أصاب منك خيراً ما أصاب هذان منك خيراً، قالت: فقال: «أو ما علمت ما عاهدت عليه ربي ـ عزَّ وجلَّ ـ قلت: اللهم أيما مؤمن سببته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له مغفرة وعافية».

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «اللهم أيما عبد مؤمن سببته فاجعل ذلك قربة

إليك يوم القيامة»، وفي بعض ألفاظ الحديث: «إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأيما مؤمن سببته أو لعنته فاجعلها له زكاة».

فلو كان النبي ﷺ مريداً لما دعا به في الغضب لما شرط على ربه وسأله أن يفعل بالمدعو عليه ضد ذلك، إذ من الممتنع اجتماع إرادة الضدين، وقد صرح بإرادة أحدهما مشترطًا على ربه، فدل على عموم إرادته، لما دعا به في حال الغضب، هذا وهو ﷺ معصوم الغضب كما هو معصوم الرضا، وهو مالك لفظه بتصرفه، فكيف بمن لم يعصمه في غضبه وتمليكه ويتصرف فيه غضبه ويتلاعب الشيطان به فيه، وإذا كان الغضبان يتكلم بما لا يريده ولا يريد مضمونه، فهو بمنزلة المكره الذي يلجأ إلى الكلام أو يتكلم به باختياره، ولا يريد مضمونه[1].

(١) «إغاثة اللهفان».

ومن الأفعال ما يُعذر بالغضب

والدليل في قصة موسى عليه السلام مع بني إسرائيل، حينما ضلوا وعبدوا العجل، يقول الله تعالى: ﴿ولَمَّا رجع مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ (الأعراف: ١٥٠).

يخبر الله تعالى أن موسى عليه السلام لما رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى، وهو غضبان أسف ـ والأسف أشد الغضب ـ قال: بئسما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾، غضبًا على قومه.

روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله موسى، ليس المعاين كالمخبر، أخبره ربه ـ عَزَّ وجلَّ ـ أن قومه فتنوا بعده فلم يُلْقِ الألواح. فلما رآهم وعاينهم ألقى الألواح».

ووجه الاستدلال بالآية أن موسى ـ صلوات الله عليه ـ لم يكن ليلقي ألواحًا ـ كتبها الله تعالى وفيها كلامه ـ من

على رأسه إلى الأرض فيكسرها اختياراً منه لذلك ولو كان فيه مصلحة لبني إسرائيل، وإنما حمله على ذلك الغضب، فعذره الله سبحانه به، ولم يعتب عليه بما فعل، إذ كان مصدره الغضب الخارج عن قدرة العبد واختياره، فالمتولد عنه غير منسوب إلى اختياره ورضاه به، وإنما كان غضب الله على بني إسرائيل لعبادتهم العجل؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، أما الغضب الذي نال بني إسرائيل من عبادة العجل، فهو أن الله تعالى لم يقبل لهم توبة حتى قتل بعضهم بعضًا: ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤).

وأما الذلة فأعقبهم ذلك ذلاً وصغاراً في الحياة الدنيا، قال سفيان بن عيينة: كل صاحب بدعة ذليل.

ولما سكن عن موسى الغضب أخذ الألواح التي كان ألقاها من شدة غضبه على قومه لعبادتهم العجل غيرةً لله وغضبًا له، وفي قوله تعالى: ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾ (الأعراف:١٥٤)، عدل سبحانه عن قول سكن إلى قوله: «سكت» تنزيلاً للغضب منزلة السلطان الآمر الناهي، فهو مستجيب لداعي الغضب الناطق فيه المتكلم على لسانه فهو أولى بأن يعذر من المكره الذي لم يتسلط عليه غضب يأمره وينهاه.

احذروا غضب الله

قال تعالى: ﴿ ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى[1] ﴾ (طه: ٨١).

في القتل الحرام:

قال تعالى: ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً ﴾ (النساء: ٩٣)، وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله في غير ما آية في كتاب الله - عَزَّ وجَلَّ - حيث يقول: ﴿ الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلاَّ بالحق ﴾ (الفرقان: ٦٨)، والأحاديث في تحريم القتل كثيرة منها قوله ﷺ: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**».

---

(١) تردى وشقى (وتردى في مهواه: سقط فيها).

وفي سوء الظن بالله:

قال تعالى: ﴿ويُعذِّبَ الْمُنافِقِينَ والْمُنافِقاتِ والْمُشْرِكِينَ والْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ باللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عليْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ولَعَنَهُمْ وأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وساءَتْ مَصِيرًا﴾ (الفتح: ٦)، أي: الذين يتهمون الله تعالى في حكمه، ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه ﷺ أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية، ولهذا قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾، واللعنة تعني: الطرد من رحمة الله يوم القيامة.

وفي التولي يوم الزحف:

قال تعالى: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمُ الأَدْبارَ (١٥) ومَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ومَأْواهُ جَهَنَّمُ وبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال: ١٥-١٦).

يقول تعالى متوعداً على الفرار من الزحف: ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾ أي: رجع، ﴿بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ﴾ أي: مصيره ومنقلبه يوم ميعاده ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، إلا من فر من بين يدي قرنه مكيدة ثم يكر[1] عليه، أو فر إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه.

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص[2] الناس حيصة فكنت فيمن حاص، فقلنا: كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب؟، ثم قلنا: لو دخلنا المدينة ثم تبنا، ثم قلنا: لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا قوبة، وإلا ذهبنا، فأتيناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال: «من القوم؟»، فقلنا: نحن الفرارون، فقال: «بل أنتم

(١) كر الفارس: إذا فر للجولان ثم عاد للقتال.

(٢) حاص عن الحق: أي حاد عنه وعدل.

العكارون[1] أنا فئتكم وأنا فئة المسلمين»، قال: فأتيناه حتى قبلنا يده[2].

وفي المرتدين عن الإسلام:

قال تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النحل:١٠٦)، أخبر الله تعالى عمن كفر بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر، واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابًا عظيمًا في الآخرة.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (النحل:١٠٧-١٠٨)، لأنهم أقدموا

---

(١) عكر: عطف ورجع.

(٤) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

على ما أقدموا عليه من الرِّدة لأجل الدنيا، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئًا ينفعهم، وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئًا فهم غافلون عما يراد بهم، ﴿لا جرم أنَّهُمْ في الآخرة هُمُ الْخاسِرُون﴾ (النحل: ١٠٩).

- أي لابد ولا عجب أنهم يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

في الذين يصدون عن سبيل الله:

قال تعالى: ﴿والَّذين يحاجُّون في اللَّه من بَعْد ما استُجيب لَهُ حُجَّتُهُمْ داحضةٌ عند ربِّهِمْ وعليْهِمْ غضبٌ ولَهُمْ عذابٌ شديدٌ﴾ (الشورى: ١٦)، يقول الله تعالى متوعدًا الذين يصدون عن سبيل الله من آمن به، ويجادلون المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله ليصدوهم عما سلكوه من طريق الهدى أن حجتهم باطلة عند الله وعليهم غضب منه ولهم عذاب شديد يوم القيامة.

رحمة الله تغلب غضبه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، هو يكتب على نفسه وهو وضع عنده على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»[1]، وأخرجه البخاري أيضًا في موضع آخر من كتاب التوحيد ولفظه: قال: «لما قضى الله الخلق، كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي».

والمراد بالغضب: لازمه، وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي: تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب، لأن الرحمة هي مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث.

---

(١) أخرجه البخاري في «التوحيد».

obeikandl.com

وذكر القسطلاني في كتاب بدء الخلق، قال: وقال التوربشتي: وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من العذاب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، ألا ترى أن الرحمة تشمل الإنسان جنينًا ورضيعًا، وفطيمًا وناشئًا، من غير أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحقه.

وقال في (المصابيح): الغضب إرادة العقاب، والرحمة إرادة الثواب، والصفات لا توصف بالغلبة، ولا يسبق بعضها بعضًا، لكن جاء هذا على سبيل الاستعارة، ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان، والغضب هو الانتقام والعقاب، فتكون الغلبة على بابها، أي أن رحمتي أكثر من غضبي.

وقال عمرو بن العاص: سألت رسول الله ﷺ عما يبعدني عن غضب الله تعالى، قال: «لا تغضب».